

التبيان في تفسير القرآن

(142) من يؤمن، لابقاه. وانما كان التكذيب بآيات الله من اعظم الاجرام، لما يتبعه من تضييع حقوق الله فيما يلزم من طاعته التي لاتصح الا بالتصديق بآياته التي جاءت بها رسله. اخبر الله انه كما اهلك هؤلاء الكفار بتكذيبهم النبي (صلى الله عليه وآله) كذلك اهلك من الكفار قوما آخرين بتكذيبهم بآيات الله، واغرق آل فرعون بمثل ذلك، ثم اخبر ان كل هؤلاء كانوا ظالمين لنفوسهم بارتكاب معاصي الله وبترك طاعته. قوله تعالى: إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون (56) آية الشر الرامي بالمكارة كشر النار ومثله الضرر، وضد الشر الخير وضد الضرر النفع. والدابة ما من شأنه ان يدب على الارض لكن بالعرف لا يطلق إلا على الخيل، ومن ذلك قوله " وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها (1) " وقوله " عند الله " معناه في معلوم الله وفي حكمه. وأصل " عند " أن يكون طرفا من ظروف المكان إلا أنه قد تصرف فيها على هذا المعنى. والفاء في قوله " فهم لا يؤمنون " عطف جملة على جملة، وهو من الصلة، كأنه قال: كفروا مصممين على الكفر " فهم لا يؤمنون " وانما حسن عطف جملة من ابتداء وخبره على جملة من فعل وفاعل، لما فيها من التأدية إلى معنى الحال وذلك ان صلابتهم بالكفر ادى إلى الحال في انهم لا يؤمنون. فاخبر الله تعالى في هذه الآية ان شر خصلة يكون الانسان عليها هو الكفر لما في ذلك من تضييع نعم الله التي توجب اعظم العقاب. والاية متناولة لمن علم الله منه انه لا يؤمن، لان قوله " فهم لا يؤمنون " اخبار عن نفى ايمانهم فيما بعد. _____ (1) سورة 11 هود آية 6. (*)